الزيت ضمن نعم الله في سورة النحل

بقلم

دكتور

سعد سعد جاويش

جامعة الأزهر

لا أظن أن أحدا من أعداء الإسلام يجرؤ على طعن مصادر هذا الدين والتشكيك فى أصوله كما يفعل أبناؤه ، وإن كان أعداء هذا الدين يتمنون زواله ولا يرجون بقاءه بحال من الأحوال .

وما يفعله المنتسبون إلى الإسلام من جرأة عليه وتشكيك فى أصوله إنما ذلك لأن الشيطان ألم بهم وبعقولهم وهيمن عليهم وجرى منهم مجرى الدم من العروق ، فجرت ألسنتهم بما يأمرهم ويوسوس إليهم به وجرت أقلامهم بما أملاه عليهم ، ونسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم ، ونسوا نصح المولى جل جلاله إذ قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) ٢١ سورة النور .

والشيطان يعد الناس الفقر ويأمرهم بالفحشاء .

وأعداء الإسلام فى فقر فى عقولهم وأفهامهم وجهل ذريع وأيضا فى حرمان من رضى الله تعالى لأنهم يفسدون فى الأرض بما يشيعونه من جرأة على الدين وتشكيك فى مصادره .

ومن النصوص التى ينكرونها ما رواه الترمذى بإسناد حسن صحيح عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا خرج من بيته قال : بسم الله توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا » .

هكذا كان النبى ﷺ يدعو ربه معلما أفراد الأمة قائلا : (بسم الله توكلت على الله) أى أعتمدت عليه فى جميع أمورى ، (اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل) بفتح النون وكسر الزاى من الزلل ، أى من أن نقع فى معصية ،

قال العلقمى : وروى بالذال من الذل .

(أو نضل) بفتح النون وكسر الضاد : أى عن الحق .

« أو نظلم » أنفسنا أو غيرنا وذلك بمجافاة العدل والإنصاف (أو نظلم) بضم النون وفتح اللام .

« أو نجهل » أى على أحد بقول أو فعل أو تصرف من التصرفات ، أو يكون الجهل رائدنا فنفعل ما يضر الغير .

(أو يجهل علينا) أى يفعل أحد فعلا يضرنا ،

وأعداء السنة تراهم يخالفون هذا النص كل المخالفة .

فلا يعتمدون على الله ولا يؤمنون بكلامه وهو القائل : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ٦٥ — سورة النساء .

وهم فى ضلال وظلمة .

يضلون ويضلون غيرهم ، ويظلمون أنفسهم وغيرهم زلت أقلامهم ، وزلت السنتهم ، وزلت أقدامهم ، وعميت قلوبهم واتبعوا خطوات الشيطان ووساوسه ، فراحوا يفعلون فعله ويدعون بدعوته ، وينفرون من أعدائه ويلازمون أتباعه وأحلافه .

وأعداء السنة وهى المصدر الثانى من مصادر التشريع يشككون فى كل مقوماتها :

١ — يشككون فى الصحابة رواة الأحاديث رضى الله عنهم ويكذبونهم وتكذيب الصحابى جريمة لا يغفرها الله إلا بتوبة ورجوع لى الله تعالى لأنهم حملة الشريعة ونقلتها عن رسول الله ﷺ .

وهم الجيل الذى زكاه الله تعالى فى كتابه الكريم إذ قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) ١٠٠ سورة التوبة .

فمن على وجه الأرض زكاه الله تعالى هذه التزكية وأثنى عليه هذا الثناء ؟ وإن لم نصدق الصحابة الذين هم خير القرون فمن نصدق ؟ فوالله إن رد ما رووه عن رسول الله وصح السند إليه لفسق ، وإنه لعناد ، وإنه لضلال ، وإنه لجحود لما جاء به الدين ، وإنها لدعوة خبيثة من شيطان رجيم .

٢ — التشكيك فى نقول أمهات المؤمنين عن رسول الله ﷺ ، بل تكذيبهن ورد ما نقلنه عن رسول الله ورأينه بأعينهن وسمعنه بآذانهن ونقل عنهن بطرق عديدة وصحيحة لا تحتمل أدنى شك ولا ريبة ، لكن أعداء الإسلام يردون ذلك لمجرد رأى باطل وعقل تافه ، وفكر خبيث يدعو إلى العلمانية والإلحاد .

٣ — تكذيب علماء الأمة ورد ما رووه خاصة الثقات العدول منهم ممن شهد لهم القاضى والدانى بالأمانة والديانة والثبات والثقة والحفظ والإتقان والورع .

وعليه فينبغى بمقتضى هذا الشك والتكذيب أن لا تصدق علماء القراءات فيما رووه وتواتر عنهم من القراءات .

ولا تصدق علماء اللغة فيما نقل عنهم من أوجه اللغة الصحيحة .

ولا تصدق علماء التاريخ فيما نقلوه من روايات .

ولا تصدق علماء التفسير فيما دعموا به أوجه التفسير والمعانى للآيات مما نقل عن الصحابة والتابعين .

علينا أن نشك فى جميع النظريات العلمية والتجارب وفى نقلتها إنه من خلال هذا الاتجاه الحاقد علينا أن نرد كل ما جاء فى الكتب من فقه وتفسير، ولغة، وأصول فقه، لأن مصادرها غير صحيحه وأسانيدها باطله ورواتها غير موثوق فيهم والشك فى صدقهم مقدم على مجرد إحتمال الصدق فى أقوالهم ونقولهم.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى جواب سؤال كتبه إليه أبو محمد بن عبد الحميد: (وأما الاعتماد على كتب الفقه الصحيحة فقد اتفق العلماء فى هذا العصر على جواز الاعتماد والإسناد إليها لأن الثقة قد حصلت بها كما تحصل بالرواية ولذلك اعتمد الناس على الكتب المشهورة فى النحو واللغة والطب وسائر العلوم لحصول الثقة بها وبعد التدليس ومن اعتقد أن الناس قد اتفقوا على الخطأ فى ذلك فهو أولى بالخطأ منهم، ولولا جواز الاعتماد على ذلك لتعطل كثير من المصالح المتعلقة بها، وقد رجع الشارع إلى قول الأطباء فى صور وليست كتبهم مأخوذة فى الأصل إلا عن قوم كفار.

ولكن لما بعد التدليس فيها أعتمد عليها، كما أعتمد فى اللغة على أشعار العرب وهم كفار لبعد التدليس اهـ.

قال: وكتب الحديث أولى بذلك من كتب الفقه وغيرها لاعتنائهم بضبط النسخ وتحريرها.. الخ[1].

هذا بالنسبة لكتب الفقه والنحو واللغة والطب وسائر العلوم.

(١) راجع تدريب الراوى ج ص ١٥٢ والإمام عز الدين هو شيخ الإسلام وسلطان العلماء أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى ثم المصرى الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ.

فإذا كنا نعتمد على نظريات فى كثير من العلوم لقوم كفار لادين لهم لأننا لا نكذبهم بل نثق بكلامهم ونحسن الظن بمن نقل لنا هذا الكلام ونحسن الظن بمن ترجمه من لغتهم إلى لغتنا.

وإذا كنا نعتمد فى اللغة على أشعار العرب، ونصدق بنسبة تلك الأشعار إلى أصحابها ولا ننكرها، بل نستشهد بها فى كتب اللغة وغيرها مع نسبتها إلى أصحابها لا نشك أدنى شك فى ذلك لا فى تلك النسبة، ولا نشك أيضا فى لغتهم بل نستشهد بكلامهم وهم كفار.

فكيف نرد كلام العدول من الأمة ونشك فى صدقهم ويترتب على ذلك رد كلام الصحابه، وهذا يترتب عليه رد كلام رسول الله، والله إن العدل يقتضى أن يقام حد الله على منكرى السنة، أو يجلدوا فى الميادين العامة لإنكارهم ما اتفقت الأمة على صحته ووثقت به وعليه بناء الدين فهم يشككون فى الدين.

٤ — تكذيب ورد أقوال علماء الجرح والتعديل الذين اهتموا اهتماما بالغا بالحديث النبوى الشريف ووضعوا تحت المنظار كل رجل أو امرأة تصدى أو تصدت للرواية عن رسول الله ﷺ.

فردوا رواية مجهول العدالة ظاهرا وباطنا.

وقبلوا من تقادم عهدهم من المعروف بالعدالة ظاهرا واختلفوا فى مجهول العين. وهو: من لم يعرفه العلماء ولا يعرف حديث إلا من جهة راو واحد.

واشترطوا فى الراوى الاسلام والبلوغ والعقل. والسلامة من أسباب الفسق، والسلامة من خوارج المروءة.

قال الحافظ ابن حجر : ولكون الاسناد يعلم به الحديث الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية .

وقال العلامة الشيخ على القارى رحمه الله تعالى : أصل الاسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة بل من فروض الكفاية .

لقد أدرك السلف الصالح أهمية الإسناد فأولوه عنايتهم دراسة ونقداً لأنه معيار العلوم وأساس قبول الأخبار أوردها فهو شرط لكل علم ينقل لاثباته أو نفيه .

قال الحافظ أبو بكر بن العربى رحمه الله : والله أكرم هذه الأمة بالإسناد ولم يعطه لأحد غيرها . فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى فتحدثوا بغير إسناد فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم ، مطوقين للتهمة إليكم خافضين لمنزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم وراكبين لسنتهم » .

وقال الحافظ ابن حزم رحمه الله فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ماخلاصته : نقل الثقة عن الثقة حتى يبلغ به النبى ﷺ مع الإتصال يخبر كل واحد منهم باسم الذى أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان ، خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل وأبقاه عندهم غضا جديداً على قدم الدهور ، يرحل فى طلبه إلى الآفاق البعيدة من لايحصى عددهم إلا خالقهم ، ويواظب على تقييده من كان الناقل قريباً منه .

الإسناد من الدين :

إلى هذا الحد من الإهتمام بالإسناد جعلوه من الدين وهذا يدل على إدراكهم لخطورته إذ الأخبار لايتم التحقق من صدقها وانتفاء الكذب عنها إلا بالسند .

قال سفيان الثورى : الإسناد سلاح المؤمن ، فإن لم يكن معه سلاح فبأى شئ يقاتل .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبدالله بن المبارك قال : الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء فإذا قيل له ، من حدثك ؟ بقى . أى بقى ساكتا مبهوتا منقطعا عن الكلام قال الإمام الشاطبى رحمه الله تعالى فى كتابه الاعتصام :

وجعلوا الإسناد من الدين . ولا يعنون حدثنى فلان عن فلان مجردا بل يريدون ذلك لما تضمنه من معرفة الرجال الذين يحدث عنهم ، حتى لايسند عن مجهول ولا مجروح ولا متهم إلا عمن تحصل الثقه بروايته لأن روح المسألة أن يغلب على الظن من ريبة أن ذلك الحديث قد قاله النبى ﷺ لنعتمد عليه فى الشريعة ونسند إليه الأحكام ، اهـ .

٥ — التشكيك فى المصادر ورواة الأحاديث هو ثالثة الأسافى ومصيبة الأمة إذ أن الأمة عبر أربعة عشر قرنا من الزمان تثق بمصادرها ولا تشك أدنى شك فيما نقل عن رسول الله ﷺ . بل تتلقى تلك النصوص خاصة ماورد منها بسند صحيح وما رواه الشيخان تأخذ ذلك بحفاوة وعناية بعد الاطمئنان إلى أسانيد تلك النصوص والتى ترى مسيس حاجتها إليها للأخذ بها فى أمور دينها خاصة مايتعلق بالعبادات والمعاملات والحدود والجنايات ، والأخلاق والآداب .

ومراكز التشكيك فى الحديث النبوى ورواته تعطيك صورة مشوهة عن السنة والناس من تلك الأراجيف — والتى لم تصدر إلا من إنسان قد تزعزع إيمانه واضطرب فكره — فريقان : —

١ — فريق ثابت الإيمان ثبوت الجبال الراسيات فهو يرد ذلك إلى اعتقاد إفتتان صاحب هذا القول . وأنه من سقط الفكر وسقط الاتجاه والمذهب فلا يعول على كلامه ولا يعيره اهتماما ويحضر أرباب هذا الاعتقاد قول الله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدنية لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا » ٦٠ : ٦٢ سورة النور .

٢ — فريق سازج سطحى الثقافة يتبع كل ناعق وهذا الفريق هو الذى نخاف عليه ونود أن نحافظ على فطرته وإيمانه ونبصره بكذب تلك الأراجيف وأنها لن تدوم طويلا فهى قصيرة العمر وأنها لن تهدم بنيانا أسس على تقوى من الله ورضوان .

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير . أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) ١٠٩ — التوبة .

وشتان بين كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى كلها كل حين بإذن ربها .

وبين كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

وهذا الفريق البسيط فى ثقافته ينبغى أن نبصره بسلامة معتقده فى السنة وأنها صنو القرآن .

وأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

وأن تلامذته عدول بتعديل الله نقلوا علوم الشريعة إلى أفاق الدنيا فى أمن وأمان واحتياط بالغ ،

وجاء تلامذتهم وهم التابعون ومن بعدهم فكانوا أهل احتياط واحتراس وأمانه ، وجاء من بعدهم فكانوا أهل ولاء لنبيهم أوفياء بعهده صادقين فى حمل دعوته .

فمن نكذب؟ هل نكذب الصحابه أو نكذب جيل التابعين أو أتباعهم؟ أو نكذب علماء الأمة الذين هم زينة الأرض والذين أمر الله بالرد اليهم والأخذ عنهم يتهكم ذلك المسكين بالسنة النبوية بألفاظ مفزعة ومسيئة تناسبه وتناسب ما ينطوى عليه من حقد وكراهية للإسلام ونبيه وحملة علوم الشريعه ، من الصحابة خير جيل على وجه الأرض رضى الله عنهم ويتهكم بالتابعين رضى الله عنهم ، بل ويتهم البعض منهم بالكذب ولعل ذلك المسكين منع قلة من تكذيب الصحابة خوفا من عوام أهل بلدته حتى لا يرجمونه ويمنعونه من دخولها لأنهم عاشوا بالسنة وتأدبوا بآدابها . وآمنوا أنها مفسرة للقرآن وموضحة له ، ومخصصه لعامه ، ومبينه لما أبهم على الناس منه ، فتلقوها بالقبول . وكان مما تلقوه بالقبول .

هذا الحديث الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه .

ورواه الأئمة أحمد والترمذى وابن ماجه وأسانيده صحيحه وأهل بلده

فى ظل هذا الحديث فعلوا ما أثيبوا عليه إنه حديث (من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة) يرى ذلك المسكين قليل البضاعة، الذى لاحظ له فى فهم السنة بل وليس مقبولا فى ساحتها لأنها أنكرته .

يرى أنه كذب ، وأن هذا الحديث قبلته عقول الناس لأنها غابت فلذلك صدقوا بأن النبى ﷺ قال هذا الكلام . وسبب ذلك هو الإسناد المكذوب الذى له خطورته على العقل .

قال : « ذلك الحديث الكاذب هو المسئول عن أقامة المساجد الكثيرة فى العشرين سنة الماضية ، وكلها تنشر ثقافة التطرف عبر أحاديث مسنده أو منسوبه للنبى ﷺ زورا وهى تخالف القرآن والسنة الصحيحة للنبى ﷺ » قال : وبدلا من أن تتوجه الأموال لبناء مساكن للشباب والعائلات التى تسكن المقابر فإنها توجهت لبناء مساجد أيدولوجيه تزيد عن حاجة المسلمين » ا . هـ

معذره لأخى القارىء إن كنت نقلت له هذه السقطات وشغلت باله بكلام فارغ لا يساوى شيئا .

وكاتب هذا الكلام لن يستطيع أن يوقف فعل الخير ولا أن يصد الناس عنه مهما بلغ به فكره من أن الخير شر ، وأن الإحسان إساءة وأن قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) ٣٦ سورة النور لا يتفق هذا القول مع عقله وميوله وهواه فهو لا يريد مساجد والناس يصلون فى أى مكان هذا نموذج يدل على نفسية الكاتب المتأزمة من السنة والنصوص النبوية والتى تفيد أنه ضالع فى عداوة الحديث النبوى مبالغ فى الحقد على كل من يقول : قال رسول الله ﷺ .

يحمله حقده هذا على ترك الحقيقة، والعدول عنها إلى تزيين الباطل وإظهار روح العداء حتى ولو قال فحشاً . أو ارتكب جناية فتراه يبث سمومه وأنفاسه غير الطاهره والتى لا يتحملها قريب منه أو بعيد لرائحتها الكريهة .

وإليك أدلة ذلك .

أولا : هذا الحديث الذى قال ذلك الكاتب عنه ، أنه رواه ابن ماجه فى مسنده عن فلان عن فلان وآمن الناس بصحة ذلك الاسناد ، قال : ومن هنا فإن ذلك الحديث الكاذب هو المسئول عن إقامة ٣٨ ألف مسجد وزاوية كلها تنشر ثقافة التطرف . . إلخ .

هذا الحديث رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه .

ورواية ابن ماجه عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بينا فى الجنة » . قال العزيزى الشافعى : إسناده صحيح .

ورواه البخارى فى كتاب الصلاة ٦٥ باب من بنى مسجدا عن عثمان رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: من بنى لله مسجدا — قال بكير : حسبت أنه قال : يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة » .

وقوله «من بنى مسجدا» التنكير هنا للشيوع ليشمل الكبير والصغير.

ووقع فى رواية أنس عند الترمذى (صغيرا أو كبيرا) وزاد ابن أبى شيبة فى هذا الحديث عن عثمان ولو كمفحص قطاة هذه الزيادة أيضا عند ابن حبان والبزار من حديث أبى ذر وعند أبى مسلم الكجى من حديث ابن عباس ، وعند أبى نعيم فى الحلية من حديث أبى بكر الصديق ورواه ابن خزيمه من حديث جابر رضى الله عنه بلفظ (كمفحص قطاة أو أصغر) وحمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة لأن المكان الذى تفحص القطاة عنه لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفى مقداره للصلاة فيه ، ويؤيده رواية جابر .

والمعنى : أن يزيد فى مسجد قدرا يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا

القدر أو يشترك فى جماعة فى بناء مسجد فتقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر اهـ (١) .

الحديث إذا رويته كتب السنة الذى لا يثق بها الكاتب ويريد أيضاً من جمهور الأمة أن لا يثقوا بها . ويكون بذلك قد حقق مكاسب كثيرة جداً ، الله أعلم من أين تأتيه هذه المكاسب .

إن الكاتب يثق بالنقول التى وردت فى كتب التاريخ الذى هو تخصصه ويصدق بروايات الكتاب التى نقلها عشرات المرات ودرسها ويثق أيضاً بالكتب التى تناولت الأشعار القديمة . الشعر الجاهلى والعباسى والأموى وغير ذلك ويصدق بتلك المصادر ولا يعارضها لكنه إن جاءه حديث عن رسول الله ﷺ أصابته نوبة من الكره والحقد . فيكذب وينفى ويتهم الرواه بالكذب ويتهكم ويقول ما ينافى الحقيقة .

إنه يشكك فى عدالة أهل العلم . ويرد ما نقل عنهم فهم فى نظره لا يساوون رواة الوقائع التاريخية التى يحفظها .

ويشكك فى التابعين ويشكك فى الصحابة المقربين .

ويريد أن لا يتكلم الرسول ولا ينقل عنه أى كلام إلا القرآن الكريم أو ما هو موافق لألفاظ القرآن إنما البيان للقرآن أو تفصيل المجمل كما قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) ٤٤ سورة النحل هذا فى نظره يكون كذبا .

---

(١) فتح البارى حـ ص ٥٤٥ ك الصلاة .

قال متهكما : منذ عشر سنوات تقريبا جاءنى صديق منزعج قال : إنه فوجىء ببلدته بالصعيد وقد سيطر عليها الشباب السلفى وأعادوها لما كان عليه السلف ومن ذلك أنهم أوجبوا على العريس ليلة الدخلة أن يحمل عروسة إلى بيته وهى داخل زكيبة أو شوال لأن ذلك ما جاء فى السنة والأحاديث فقلت لهم : إنهم قرءوا خطأ ذلك الحديث القائل بأنهم كانوا يدخلون بالنسا. فى شهر شوال : وكانت نكتة هائلة » .

قال : القرآن هو المصدر الوحيد للإسلام .

القرآن أتى من الله تعالى طريقا مستقيما لنتبعه وحده ولا نتبع الطرق والسبل الأخرى : حتى لا نقع فى الاختلاف .

والطرق الأخرى تقوم على الاختلاف والظن والريب .

ومن المعلوم أن الروايات والأسانيد لها طرق وسبل متفرقه .
ويؤكد علماء الحديث أنها كلها ظنية . اهـ .

قال تحت عنوان : الاسناد يناقض المنهج القرآنى .

إن إسناد قول ما للنبى ﷺ يعنى تحويل ذلك القول أو الحديث أو الخبر إلى حقيقة دينية . يكون المسلم مطالباً بالإيمان بها والعمل وفقا لأحكامها وهذا لا يتأتى إلا للقرآن وحده .

إن إسناد قول ما للنبى ﷺ وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنبى ﷺ بأنه فرط فى تبليغ الرسالة . ولم يبلغ بنفسه تلك الأحاديث المنسوبة إليه « بها » فيا سبحان الله ! كيف إذا نتلقى ما نقل عنه ، إن كان بلغ الرسالة .

قال : إلا أن ذلك الاسناد أعطى لها قدسية وحصنها من النقد

والنقاش وعليه فإن الخروج من هذا المأزق يحتم الغاء ذلك الإسناد أى أى قطع الصلة بين تلك الأحاديث والنبى ﷺ رحمة بالإسلام وتمشيا مع المنطق والمنهج العقلى والعلمى .اهـ

يرى هذا الآثم ، أن أحاديث الرسول ﷺ تمثل فقط العصر الذى قيلت فيه وإذا بحثت يجدها أنها ثقافة معدومة التقديس كأى تراث بشرى تنعكس عليه أحوال البشر ، وعليه فيتعين النظر إلى العلماء والرواة نظرة إحتقار ورد ماجاءوا به حتى نكون أوفياء لرسول الله ﷺ ، وإلا فإننا سنتعلق بثقافة تعبر عن العصر الذى تم تدوينها فيه ، إن الإسلام فى نظره ينبغى أن لا يكون له تراث وأن يتمشى مع الحضارة التى جاءت عبر البحار بسلبياتها وإيجابياتها .

ولا ينبغى أن يقف جامداً عند نصوص مضت وعفت عليها الأزمان والدهور وماعادت تواكب العصر .

هذا الخاطىء يقول هذا :

ويتناسى أن أوربا وأمريكا التى يعمل لحسابها راحت تطلب التفاصيل للأنظمة المالية الإسلامية لما رأت من نجاحها .

وراحوا يطالبون بضرورة دراسة الأخلاق على وفق ماجاء به الإسلام لأنهم افتقدوا هذا الذى يتمسك به أرباب المبادىء

إنهم تعجبوا لما جاءوا فى مؤتمر السكان من ترابط الأسر فى مصر فى الوقت الذى لانعرف فيه الأسرة الأوربية الترابط ولا التماسك فهذه زوجة تعيش كيفما تشاء فى بيت مستقل حرية جسديه مطلقة لاترتبط بزوجها إلا على ورق .

هذا النظام الذى يطلق للبنت العنان بل يتخلى عنها أهلها بعد بلوغها لتعاشر من تشاء وتفارق من تشاء :

هذا هو النظام المتطور الذى يرى هذا المسكين أنه نظام مثالى ينبغى أن يكون عليه الإسلام ، ولا يتعلق بالثقافة القديمة التى عفى عليها الزمن .

لقد نسى هذا المسكين أن ملك فرنسا كان يرسل بالبعثات لتتعلم فى الأندلس لما كانت بلادهم يهيمن عليها الجهل .

ويعترف بذلك فى رسالة يرسل بها إلى الأمير المسلم الذى يخاطبه بلفظ إسمح لى ياسيدى أن نرسل بابنائنا لينهلوا من مواردكم وثقافتكم . التى نفتقدها فى بلادنا .

أريد أن أسأل رائد هذا الفكر المعتم .

هل بلغ الرسول ماأوحى إليه ، وهل بين للناس مانزل إليهم كما أمر القرآن ؟ إن كان فعل ذلك فكيف يصل إلينا ؟ وكيف يتأتى لنا أن نتلقى ذلك بثقة واطمئنان .

وأين أنت من آيات القرآن التى زكت العلماء العدول وأوجبت الرجوع إليهم ، وسمى القرآن طوائف من العلماء (راسخين فى العلم) وقال فيما ثقل عليهم فهمه : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ٨٣ — النساء) فهل تشكك فيما نقل عنهم . وهل تسقط عدالتهم ؟

وهل لايرضى هذا الفيلسوف إلا بحرمان الأمة من خصوصية إمتازت بها وهى الإسناد ؟

كتب ذلك الموالى لأعداء الله وأعداء رسوله تحت عنوان

(الإسلام يناقض المنهج العلمى) وكان بودى أن يطلع القارئ الكريم على تلك السموم ، ولكننا ننزه هذه (الحوليه) الطاهرة عن الاستطراد فى نقل تلك العدوى وتلويثها بما كتبته تلك الأقلام المأجورة .

يشكك هذا الكاتب فى الإمام البخارى بأنه عاش فى القرن الثالث الهجرى فمن أين له تلك الأحاديث عبر قرون ثلاثة ؟

ويختار من صحيح الإمام البخارى حديثا ، هو فى نظره كذب منسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال البخارى : حدثنا إسماعيل ابن خليل قال : أخبرنا على بن مسهر قال : أخبرنا أبو اسحق هو الشيبانى عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : (كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر فى فور حيضتها ثم يباشرها)[1] .

قال العلامة ابن حجر : المراد بالمباشرة هنا التقاء البشرتين لا الجماع .

فكان صلى الله عليه وسلم يباشر فوق الإزار تشريعاً لغيره ممن ليس بمعصوم ، وذهب كثير من السلف والثورى وأحمد واسحق إلى أن الذى يمتنع من الاستمتاع بالحائض الفرج فقط ، اه

وذلك لحديث أنس عند مسلم : (اصنعوا كل شئ إلا الجماع)
وروى البخارى عن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : بينا أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مضطجعة فى خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتى قال : أنفست ؟ قلت : نعم فدعانى فاضطجعت معه فى الخميلة ، أى

(١) صحيح البخارى كتاب الحيض ٥ — باب مباشرة الحائض فتح البارى ١/٤٠٣ فتح البارى الحيض ١/٤٠٣

القطيفة ، قال فى الفتح : وفى الحديث جواز النوم مع الحائض فى ثيابها والاضطجاع معها فى لحاف واحد ، اه .

قال هذا الهدام الظالم :

أورد البخارى أحاديث تؤكد أن النبى عليه السلام كان يباشر جنسيا نساءه أثناء المحيض ا . ه

وهل من الدين كتابة ذلك ونشره وبثه فى الناس ؟ وهل الحديث يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجامع نساءه وهن حيض ؟ والله إنه لعدوان سافر وتطاول يدل على انطواء الكاتب على عداء للإسلام ونبيه وعداء لكلام رسول الله والله إنه لتحريف للكلم عن مواضعه فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إن الكاتب بعد تكذيب رواة الحديث رضوان الله عليهم يقول : زعموا أنها قالت متن الحديث ونصه ، قال : والبخارى لم يرو منهم إلا واحداً هو الذى ادعى أنه حدثه بذلك الحديث والرواة الماضون الذين عاشوا فى أزمنة متعاقبة لا يوجد دليل على أنهم رووا ذلك الكلام . ويستحيل عقلا بالمنهج العلمى إثبات صدقهم فى نقل تلك الرواية عبر قرنين ونصف قرن .

قال هذا الظالم : وحقائق التاريخ فى العلم المسمى بعلم الحديث تؤكد أن إختراع الإسناد تم فى القرن الثانى من الهجرة ، حيث تكاثرت الروايات الشفهية وتكاثر الكذب فيها فاشترطوا إسنادها عبر رواة سابقين كانوا ماتوا فيما بين منتصف القرن الثانى إلى عصر النبى ﷺ اه

إننا نعتقد أن الإسناد خصوصية للأمة المحمدية وأن اليهود ليس عندهم من ذلك شئ إلا اماجاً فى الرجم وهذا الكاتب يؤلمه ذلك ويتمنى عليه أن يكون للأمة تراث مسند صادق الأصول خال من الزيف بل يريد تراثا مشكوكا فيه بعيداً عن الصدق موصوفا بالكذب ، إنه يتهم علماء الأمة بالكذب وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم .

أعداء السنة المطهرة

لم ييأس الشيطان من الإجتراء على ساحة العقيدة الصافية فى علمائها وأن يتخذ من ساحة السنة الشريفة المطهرة مجالا لنزغه ووسوسته وغمزه فقد سولت لبعض الأشخاص أنفسهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فأخذوا يشككون فى الأحاديث الصحيحة ويوجهون الطعنات إلى صحيح الإمام البخارى الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى يليه صحيح مسلم وذلك باجماع الأمه وتولى كبر هذه المسألة أشخاص منهم .

١ — الزنادقة : تركوا السنة وأهملوا العمل بالحديث الشريف إكتفاء بالكتاب العزيز ، ولربما إستندوا فى ذلك إلى هـــذا القول : (إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه وأن خالفه فدعوه) رواه بعضهم على أنه حديث وهو كلام باطل وقد نقل زكريا الساجى عن يحيى بن معين رحمهما الله قال : إن هذا حديث وضعته الزنادقه فهذا القول (إذا جاءكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله) ليس بحديث بل هو كلام ساقط لا أصل له ولربما إنخدع بذلك جماعة باكستان المسمون (بأهل القرآن) وقد نبه على ذلك ﷺ فهذا الذى حدث علم من أعلام نبوته فقد روى بسند حسن صحيح عند المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال : (يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال إستحللناه وماوجدنا فيه من حرام حرمناه إلا وأن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله) رواه الإمام أحمد وابو داود وابن ماجه باسناد صحيح حسن ولم يؤثر ذلك فى عقيـــدة المسلمين الذين

يرفضون كل كلام يهون من شأن السنه ولا يقفون عند مثل هذا القول الساقط لأن العمل بالسنه من أمر الله تعالى دل على ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وماءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله) سورة الحشر ٧ .

وقال عز وجل : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) سورة النور ٦٣

وقال عز وجل : (قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوا تهتدوا) سورة النور ٥٤

وقال عز وجل (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) سورة النحل ٤٤

وهذه أدله على حجية السنه وأنها صنو الكتاب العزيز وانه لا يزيغ عنها إلا هالك .

٢ — وتولى كبر هذه المسألة فى الآونة الأخيرة المستشرق اليهودى (جولد زيهر) الذى كشف النقاب عن عدائة للسنة بتشكيكه فى مصادرها وصحة نقلها .

٣ — أحمد أمين كان ذيلا فى ذلك لليهودى جولد زيهر فقد نقل عنه الكثير من نقده وتشكيكه فى كثير من النقول الصحيحة .

٤ — وشخص آخر انفق ماله فى تأليف كتاب تطاول فيه على الصحابة رضوان الله عليهم وتناول الأحاديث بالطعن والتجريح ولم يفرق بين صحيح وغيره مرددا فى ذلك كلام اليهود والنصارى من أمثال جولد تسيهر وغيره ذلك هو (أبو ريه) .

٥ — ضيفا أمريكا .

وأجير آخر خرج على الإجماع ونبذ أقوال الصحابة والتابعين وراءه ظهرياً ووجد ممن لم يدخل الإيمان فى قلوبهم من حديثى العهد بالاسلام من يصدقه وذلك هو المدعو (رشاد خليفه — الذى كان يتردد على مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية) فقد ألف كتاباً معادياً للسنة بعنوان (القرآن والحديث والإسلام) وبدل أن يستغل وجودة فى هذه البلاد ليمكن لأصول الدين فى تلك البلاد التى تدين أساساً بغير الإسلام بل تعاديه باستثناء أقليات مسلمه فيها، راح هذا الأجير يعمل لصالح الدعاية اليهودية التى كان يعمل لها قديماً جوله تسيهر فراح يفرق وهو أمر له خطورة فى أمريكا التى كان من الممكن أن يستغل الفراغ الدينى فيها بالدعوة إلى دينه إن كان صحيح الإيمان بمصادرة .

ومهما يكن من أمر فهذا حدث ليس ببعيد على شخص دلت دراسته على أنه ليس من أهل هذا الشأن فقد كان يحمل شهادة (بكالريوس زراعة من جامعة عين شمس) سنة ١٩٥٧

وحصل على دكتوراه فى الكيمياء الحيوية من جامعة كاليفورنيا بأمريكا سنة ١٩٦٤ وعمل بعد ذلك خبيراً بهيئة أمريكية للتنمية الصناعية فراح يبث سمومه وهى لا شك تخدم أعداء الإسلام الذين كان يقيم وسطهم ويعمل بينهم ، وهم كما قال الله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) الآية ٩ سورة القلم .

أجل ودوا لو تدهن ، أو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك ، كان يمكنه أن يحبب إليهم الإيمان ويزينه فى قلوبهم ولكن هذا الخبير الآثم عمل على تشويه سمة دينه والتشكيك فى مصادرة ، والله يعلم ماوراء هذا التشكيك ، وفى ترجمة حرفية لمقدمة كتابة ترجمتها عن الإنجليزية

الدكتوره عائشة عبد الرحمن قال : «بعد أكثر من اثنى عشرة سنة من إجراء بحوثى حول القرآن بإستخدام الحاسب الآلى . الكمبيوتر ثم أكتشاف دليل مادى يثبت أن القرآن هـو فى الواقع كلمة الله المعصومه . قال : وكشف البحث المستمر الدائم . عن حقيقة مذهله وهى أن الحديث والسنة بما لها من شعبيه هائله ومكانه عالية لا علاقه لها بالنبى ﷺ وأن التمسك والالتزام بهما يمثل عصياناً صارخاً لله ولخاتم النبيين . وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة فى كل مكان وبناء على ذلك فإن شعبيتى بل شعبية الاعجاز القرآنى عرضه لأن تصل إلى درجة تهديد حياتى وسمعتى فقد تبين لى أن إبلاغ المسلمين أن الحديث والسنة هى بدع شيطانيه بمثل لا بلاغ المسيحين إن يسوع ليس ابن الله » وقد أفاد هذا الخبير أن شعبيته قد ذادت فى امريكا بهذا الإختراع البالغ الإثاره والتواضع وهذا ما توقعة الاستاذ الدكتور طه الدسوقى حبيش فى كتابه « الإسلام والمؤامره » ص ٥٥ بعد أن نقل كلام هذا المعتدى الذى ينظر إلى الحديث والسنة على انهما بدع « وأن التمسك بهما معه شرك ومعصية لله ورسوله » .

ويأسف فى فقرات من كتابه على حال المسلمين وما وقعوا فيه حين استدرجوا إلى الفخ الشيطانى الذى استدرج إليه المسلمين جميعاً من بدء الإسلام إلى اليوم وفى كل مكان وهم فى غفله من الحيل الشيطانيه التى أضلتهم بما يعرف بالحديث والسنة وأن مهمه الرسول ﷺ تقتصر فقط « على تبليغ القرآن ولا شىء غير القرآن وانه منهى عن أن يتلفظ بكلمة فى الدين غير القرآن ومحظور عليه أن يبين من عنده كلمة من القرآن أو يفسرها » هذا الذى صدر من ذلك الإنسان يخدم طرفاً آخر ولاشك أن ذلك هو الطرف الذى يرفض الإسلام ويسعى فى تقويض بنيانه من قديم ويشن عليه حملات مباشره أحياناً وغير مباشره عن طريق استئجار بعض العملاء .

قال الخليفة هذا :

ولما كان الإقرار بأن الحديث والسنه إنما هى بدع شيطانيه تؤيده الأدله الماديه فى الشواهد القرآنية فإن كل الناس ذوى الفكر الحر سوف يقبلون المكتشفات المدونه فى هذا الكتاب، وبالنسبه إلى هؤلاء المفكرين الاحرار فإن تلك النتائج ، تتضمن احساساً جديداً بالخلاص . وباليقظه الكامله والوعى بأن الشعوب المسلمه سقطت ضحية المخططات الشيطانيه، وقد ادعى رشاد هذا النبوه ولم يمكث طويلا حتى قتل وذهب مع الذاهبين وبقى صديقه الثانى وكان ذيلا لهـذا الخليفه الموالى الأمريكى رفيقه (أحمد صبحى) الذى تولى هو الآخر كبر هذه المسأله فراح يتهجم فى خطبه وكتاباته على البخارى ومسلم ويتهم ما فيهما بالكذب ولا تعجب أيها القارىء من ذلك التهجم على الإسلام فقد زين له الشيطان عمله كما زين لمن سبقه وصدق فيه قول الله تعالى (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً) .

وأحمد صبحى كان يعمل مدرساً للتاريخ فى كلية اللغة العربيه .

لكنه إنخدع بغيره فراح يردد كلاماً ظهر فى كتاباته وسمع فى خطبه .

ومما اطلعت عليه من ذلك قوله أن مانسب للرسول من كلام يخالف القرآن الكريم إنما هو زيف مختلق يعبر عن عقائد واضعيه والمحتجين به ولا يمكن أن يعبر عن رسول الإسلام ﷺ وهذا الكلام هو ما نقل عن الزنادقه تماماً .

فقد قالوا : لا نؤمن إلا بما يوافق القرآن . وهذا شىء غريب وقائل هذا الكلام لا يتطهر ولا يصلى ولا يخرج زكاته ولا يصوم ولو يحج

إلا بمقتضى احاديث كثيرة فصلت القرآن فى أوامره وبينت مراد الآيات وأضافت أشياء ليس لها ذكر فى القرآن وقد توسع بعد ذلك وانتشرت دعوته فى انكار السنة صراحة وراح يروج لهذا الأمر فى المساجد والندوات وألف نشرات و كتيبات صرح فيها أن الإمام البخارى أفاك اثيم وانه أتى بأحاديث بشعه فى صحيحه افتراها واختلقها . ولقد ترك أحمد صبحى له اتباعاً ينكرون الشفاعة وأحاديثها المتواتره وينكرون السنه وقد أخذت الجامعه منه موقفاً ففصلته وكانوا ينتظرونه فى أمريكا نخرج إلى أمريكا يبث هذه السموم المعاديه للإسلام إذ أن الخطوة الأولى لتقويض بنسيان الإسلام رفض السنه والشك فى مصادرها الأولى . فإذا تم لهم ما أرادوا من محو الثقة فى نفوس الناس بالسنة كانت الدائرة بعد ذلك — وحاشاً لله — على القرآن ولن يفلحوا ولن يتمكنوا إن شاء الله .

الإسناد خصوصية الأمه

قد يسأل سائل . لم كانت تلك الحمله المغرضه التى جند لها الشيطان جنوده المخلصين من أعداء الكتاب الكريم والسنه المطهره . ليشككوا فى هذه الأحاديث الصحيحة التى اعتنى بها السلف الصالح اعظم أعتناء واحتاطوا فى نقلها والمحافظه عليها أعظم احتياط ولم وجهت إليها تلك الطعنة الطائشه وهى نقل ثقة عن ثقه يبلغ به رسول الله ﷺ ؟ ولم أهملوا بحث كتب أخرى التزييف فيها واضح وظاهر هى بين أيديهم لا يستطيعون اثبات صحتها ولا نسبتها إلى مصادرها العليا والتى كتبت فى تاريخ متأخر بعيد عن المنبع الأصلى .

متضاربه فى نصوصها ولم يدافعون عن هذا الزيف فأغروا كل غر جهول بتاريخ السنة وأفاضوا عليه من سحتهم ما جعله يتطاول بالباطل على الحق :

كناطح صخره يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فهل من سمة هذا العصر ومن منهج النفاق فيه عيب الصحيح ومدح العليل ورفع رايه الباطل ؟

ونحن نسأل أعداء الإسلام .

الذين يزكون هذه الفتنه ويشعلون نارها ويمدونها بمواد الحريق والوقود

نريد منكم مصدراً صحيح النسبة محقق الأصل ، تواترت نسبته كما هو بالنسبة للكتاب العزيز . السنة المطهره . فإن عمل الناس بها من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا دليل صحة نسبتها وانها نقلت إلينا

خاليه من العيب مصفاة من كل شائبه فهل لديهم (أثاره من علم) وهو الاسناد كما يقول العلماء ؟

قال الشيخ القاسمى فى كتابه قواعد التحديث :

إعلم أن الاسناد فى أصله خصيصه فاضله لهذه الأمه . ليست لغيرها من الأمم .

قال ابن حزم : نقل الثقه عن الثقه يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل . وأما مع الإرسال والأعضال فيوجد فى كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من سيدنا محمد ﷺ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثرا من ثلاثين عصراً وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه .

قال : وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط . واما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير فى نقل اليهود والنصارى .

قال : وأما أقوال الصحابه والتابعين . فلا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص .

وقال أبو على الجيانى : خص الله تعالى هذه الأمه بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الإسناد ، والأنساب والإعراب . ومن أدلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق فى قوله تعالى (أو أثاره من علم) سورة الاحقاف الآية ٤ قال : اسناد الأحاديث .

وقال ابن المبارك : « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما يشاء » اخرجه مسلم .

وقال سفيان بن عيينه : حدث الزهرى يوما بحديث فقلت : هاته بلا اسناده .

فقال الزهرى : اترقى السطح بلا سلم ؟

وقال النووى : الاسناد سلاح المؤمن .

وقال أحمد بن حنبل : طلب الاسناد العالى سنه عن سلف لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفه إلى المدينة . فيتعلمون من عمر ويسمعون منه .

وقال محمد بن اسلم الطوسى : قرب الاسناد . قرب أو قربة إلى الله تعالى :

إن قراءة نص بطرق متعدده وأسانيد مختلفه يزداد به المؤمن إيماناً ويسعد بهذه الروايه المتصله السند برسول الله ﷺ . وأن نقل الثقه عن الثقة يبلغ به رسول الله ﷺ أمر يطيب خاطر المسلم . ويزيده اطمئناناً بأن هذا الذى بين يديه خـــرج من بين شفتى المعصوم ﷺ والسنة الصحيحة كلها كذلك .

فهل قرأ المرجوفون والمشككون شروط الرواية الصحيحة ؟

وما قرره علماء الحديث من شروط لا بد من تحقيقها فى الراوى والمروى لقبول الروايه ؟

وما وضعوه من قواعد للجرح والتعديل وشروط فى الجارح والمجروح .

والمطلع على كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام لأحمد أمين نراه يكرر النقل عن استاذه (جولد زيهر) اليهودى المستشرق ويرى أن الكلامه العصمه من الخطأ وانه مصدره الذى يعتمد عليه فى تجريح لعلماء السنة ورد لها ، ولربما كان رده لها من باب غلبه الظن .

ومن اراد التحقق من ذلك فعليه بمراجعة فجر الإسلام وضحى الإسلام .

تمسك السلف بالسنه

والعجب كل العجب من هؤلاء الذين لا يصلون ولا يصومون ولا يخرجون زكاة أموالهم إلا بمقتضى السنه المبينه للكتاب ثم بعد ذلك يتطاولون على ساحتها الطاهره :

١ — لقد قال رجل لعمران بن حصين رضى الله عنهما : حدثنا عن كتاب الله وهو يحدثهم عن السنة فغضب رضى الله عنه وقال : إن السنة هى تفسير كتاب الله ولولا السنة لم نعرف أن الظهر أربع والمغرب ثلاث والفجر ركعتان ولم نعرف تفصيل احكام الزكاه إلى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصل الاحكام .

٢ — وجاءت الجده إلى الصديق رضى الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها : ليس لك فى كتاب الله شىء ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك بشىء وسأسأل الناس ثم سأل رضى الله عنه الصحابه فشهد عنده بعضهم بأن النبى ﷺ أعطى الجده السدس فقضى لها بذلك .

٣ — وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه لما حدث بقوله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » قال بعض ابنائه والله لنمنعهن فغضب عليه عبد الله وسبه سبا شديدا وقال : أقول : قال رسول الله ﷺ وتقول : والله لنمنعهن ، رواه أبو داود .

٤ — وعن عبد الله بن المغفل المزنى وهو من أصحاب رسول الله ﷺ أنه رأى بعض أقاربه يحـــذف فنهاه عن ذلك وقال له : لا يصب صيداً ولا ينكأعدوا . ولكنه يكسر السن ويفقد العين . ثم رآه بعد ذلك يحذف فقال ، والله لا أكلمك أبدا أخبرك أن رسول الله ﷺ ينهى عن الحذف ثم تعود حذف رأسه بالعصا رماه بها .

والآثار الدالة على تمسك الصحابه رضى الله عنهم بالسنة كثيرة وكذلك السلف الصالح من بعدهم .

٥ — وأخرج البيهقى عن مجاهد بن جبر التابعى الجليل رضى الله عنه قال فى قوله تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال : الرد إلى الله : الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول الرد إلى السنة .

٦ — وقال الأوزاعى رحمه الله : السنة قاضية على الكتاب ، ولم يجىء الكتاب قاضيا على السنة ومعنى ذلك : أن السنة جاءت لبيان ما أجمل فى الكتاب كما فى قول الله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين الناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

أقول : إن من تكفل بحفظ القرآن الكريم قد تكفل بحفظ السنة المطهرة تبعاً لأنها مبينة للقرآن . ومفصلة له ، ومخصصة ومن تكفل بحفظ المبين متكفل بحفظ المبين ، وأكبر دليل على ذلك هو عناية علماء الأمة سلفا وخلفاً بجمع الحديث وتخليص الصحيح من غيره والعناية بالنقد والجرح والتعديل ، ومن تقبل روايته ومن لا تقبل .

وأكبر دليل على حفظ السنة ، أن هذه الحملات المعادية للسنة لا تمر بسلام ولكن الله يقيض لها من يردها ويبين زيفها ويفضح أهلها .

إن عوامل كثيرة تفسد على الشيطان نزغه وغمزه للسنة البيضاء الصافية النقية منها :

أن إنكار السنة مسلك الكسالى الخاملين :

بكل أسف لم يثبت على مر التاريخ أن أحدا من أهل هذا الشأن أنكر النصوص النبوية وسعى فى التشويش عليها لكن المخالفين على مر التاريخ

قوم من غير المتخصصين والذين لاحظ لهم فى دراستها وفهمها فهم يرددون كلاما للمستشرقين وأعداء الدين ، أو يصعب عليهم فهم بعض النصوص فيردونها .

وقد كشف المعصوم ﷺ عن هذه الفرق مما يطمئن فؤادك ويريح قلبك .

أولا : حديث المقدام بن معد يكرب الكندى رضى الله عنه قال : « حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال : يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال أستحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته فيقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه ، من حلال فأحلوه وما جدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع ، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغنى صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فإن لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم »[1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد وهذا لفظه ترتيب المسند ١٩٢/١ باب العمل بالسنة : ورواه أبو داود فى سننه ٥٠٥/٢ باب ٨ لزوم السنة .

توضيح :

أوتيت الكتاب ومثله معه : يحتمل وجهين :

١ — أن يكون ﷺ قد أعطى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

٢ — أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى وأوتى من البيان أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب ، ويعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له فى الكتاب ذكر فيكون ذلك فى وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن ، قال الله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » فالكتاب هو القرآن والحكمة ، والسنن التى لم ينطلق القرآن بنصها .

(ألا يوشك) : بكسر الشين أى يقترب ويدنوا منكم فهو من أعمال المقاربة .

قال الفارابى : الايشاك : الاسراع ، ومعناه أن هذا الأمر قريب الوقوع ويتكرر حدوثه ، وهذا تحذير من هذا التشكيك الذى سيقع ، وقدم وقع فعلا بل تكرر وقوعه لكن ذلك لم يحدث شيئا ، ولكنه زاد المؤمنين ثقة برسولهم ﷺ الذى نبههم مسبقا إلى ذلك ، وحذرهم من مخالفة السنن التى سنها خاصة ما ليس له فى القرآن ذكر ، وقد فعل ذلك الخوارج ووقعوا فيه فعلا ، فأنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التى قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا .

(رجل شعبان متكىء على أريكته) : هذا دليل على أن هذا القول لا يصدر عن العقلاء أهل الفطنة والمعرفة ، والاستقامة ، ولكنه يصدر من قوم لا فهم لهم ولا عقل من الكسالى الخاملين الذين لم يعملوا عقولهم أدنى أعمال ولم يسألوا العلماء عند عجزهم عن الاطلاع على حقيقة ما أشتبه

عليهم من أمر السنة ، فكان أقرب شىء عندهم عند اشتباه الأمر عليهم أن يقولوا هذا كذب على رسول الله رجما بالغيب ، ودون بحث عن حقيقة الأمر — وقد وقع فعلا .

أقول : إن الحكم على الحديث ليس سهلا ، ورد الحديث دون تحقق من أسباب الرد جريمة فقد يترتب عليه رد حكم من أحكام الدين .

والأريكة : السرير ، يقال : إنه لا يسمى أريكة حتى يكون فى حجلة ، بفتحتين أى يزين السرير بالثياب والستور .

وقوله : (لا تحل لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها) أى يتركها ذلك المعاهد لمن أخذها استغناء عنها .

(فله أن يعقبهم بمثل قراه) : معناه له أن يأخذ من مالهم قدر قراه عوضا عما حرموه من القرى ، وهذا فى المضطر الذى لا يجد طعاما ويخاف على نفسه الهلاك ، وقال الخطابى رحمه الله ، وفيه دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه ، وأما ما رواه بعضهم أنه قال : (إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه) فإنه حديث باطل لا أصل له وقد حكى زكريا بن يحيى الساجى عن يحيى بن معين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة . اهـ .

٢ — وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر الكلاعى قال : أتينا العرباض بن سارية رضى الله عنه وهو ممن نزل فيه : (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه) فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال ، عرباض : (صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال : (قائل يا رسول الله كان هذه

موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

٣ - وعنه من طريق آخر بنحوه وفيه (قلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ، ومن يعش منكم (فذكر نحو ما تقدم) .

رواه الإمام أحمد[1] ، والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن صحيح .

توضيح الكلمات الغريبة :

قوله : ذرفت : بفتح الذال والراء ، أى سال منها الدمع .

ووجلت : أى خافت منها القلوب وأشفقت .

والسمع والطاعة : أى لمن يلى أموركم من الأمراء عادلا كان أو جائرا ما لم يأمر بمعصية ، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ،

وسنة الخلفاء : قال بعض العلماء : وهم الخلفاء الأربعة ، وذكر ﷺ الخلفاء الأربعة لأنه علم ﷺ أنهم لا يخطئون فيما يستخرجونه من أحكام.

عضوا عليها بالنواجذ : جمع ناجذ ، وهو الضرس الأخير .

وإنما أراد بذلك ، الجد فى لزوم السنة فعل من أمسك بين أضراسه

(١) ترتيب المسند ١٨٨/١ الاعتصام بالسنة .

من التمسك بالشىء إذا كان ما يمسكه بمقاديم فمه أقرب تناولا وأسهل انتزاعا ، وقد يكون معناه أيضا الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض فى ذات الله ، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .

وإياكم ومحدثات الأمور : بفتح الدال جمع محدثة بالفتح وهى ما لم يكن معروفا فى كتاب ولا سنة ولا اجماع وهى البدعة. قال الحافظ ابن الأثير رحمه الله فى النهاية :

البدعة بدعتان . بدعة هدى وبدعة ضلالة . فما كانت فى خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو فى حيز الذم والانكار ، وما كان واقعا تحت عموم ما نسب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو فى حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال الممدوحة ، ولا يجوز أن يكون ذلك فى خلاف ما ورد الشرع به ، لأن النبى ﷺ قد جعل له فى ذلك ثوابا فقال : « من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها » وقال فى ضده : « ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها » وذلك إذا كان فى خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ . ومن هذا النوع قول عمر رضى الله عنه : « نعمت البدعة هذه لما كانت من أفعال الخير وداخلة فى حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبى ﷺ لم يسنها لهم . وإنما صلاها ليلا ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس ولا كانت فى زمن أبى بكر ، وإنما عمر رضى الله عنه جمع الناس عليها وندبهم اليها فلذا سماها بدعة وهى على الحقيقة سنة ، لقوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وقوله : اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر وعلى ، هذا التأويل يحمل الحديث الآخر على كل محدثة بدعة ، إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ، ولم يوافق السنة وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا فى الذم ا. هـ[1] .

(١) بلوغ الأمانى شرح الفتح الربانى ١٨٩/١

وهذا الحديث الشريف يحمل للأمة من النصائح ما يكفل لها الأمن والخير وجمع الكلمة ، ونبذ الفرقة فيدعو :

أولا : إلى تقوى الله تعالى فى الأموال والأفعال وجميع أحوال العبد فيجعل بينه وبين كل ما يغضب الله حائلا .

ثانياً : يحث النص على السمع والطاعة ، لأوامر الله وأوامر رسوله . وأولى الأمر من العلماء العدول . والحكام الأفهام الذين ينصرون دين الله ، ويرفعون راية القرآن .

ثالثاً : التنبيه إلى أمر هام ، وهو ان من يعيش بعده ﷺ سوى من الأمور المخالفة لما كان عليه النبى ﷺ والمهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم باحسان . فلا ينبغى أن يغتر عاقل بذلك ، فان هذا أمر لا بد منه وعلى المسلم عند ظهور ذلك أن يزداد تمسكا بكتاب الله وسنة رسول الله وما كان عليه الخلفاء الأربعة والصحابة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فيذكر المرء ما كانوا عليه فأنهم كانوا على الخير فيلزم المرء طريقتهم فى الدين ولا يخالف ما كانوا عليه . ولا ما جاء به النبى ﷺ . فان من فعل ذلك يهلك مع الهالكين .

رابعاً : انه ﷺ قد بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة وترك للمسلمين معتمدا لا يزل ولا يضل من تمسك به وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

خامساً : أن المسلمين بهذين المصدرين فى غنى عن الخلاف والنزاع لأن أمرهما واضح ولا مجال للريب فيها ، «ذلك الكتاب لا ريب فيه» والسنة كذلك التى اتصلت بنقل العدل عن العدل ولذلك قال ﷺ : «قد تركتكم على البيضاء» أى الملة والحجة الواضحة التى لا تقبل الشبه أصلا . و «بيضاء» أى ضافية خالصة خالية من الشك .

وقوله ﷺ : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين» دليل على أن

الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه فيه غيره من الصحابه كان المصير إلى قول الخليفة كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر ؟ فكتب أما بعد : أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما حدث المحدثون بعد ما جوت به سنته وكفوا مؤنته . فعليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة . ثم أعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ما هو دليل عليها أو عبره فيها فان السنة إنما سنها من قد علم ما فى خلالها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم فانهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فان كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه . ولئن قلتم : «إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب ما يشفى فما دونهم من محسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا وطمع عنهم أقوام فغلوا . وانهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم ا. هـ (١) .

حكم منكم السنة :

١ — أخرج البيهقى عن أيوب السختيانى التابعى الجليل أنه قال : إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا وأتينا عن القرآن فاعلم أنه ضال .

٢ — وقال الله تعالى : «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم» الآية ٦٣ — سورة النور .

قال ابن كثير : عن أمره أى أمر رسول الله ﷺ سبيلة هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله ، كائنا ما كان

(١) معالم السنن للخطابى جـ ٧ ص ١٤ ، ١٥

كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[١] .

وقوله : فليحذر: أى ليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أوظاهرا أن تصيبهم فتنه أى فى قلوبهم من كثير أو نفاق أو بدعة ، « أو يصيبهم عذاب اليم ، أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس[٢] .

٣ — وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى وخذ من حيث أخذنا — وقال أيضا رحمه الله : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته عن رسول الله ﷺ يذهبون إلى رأى سفيان والله سبحانه يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » ثم قال: تدرى ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك لعله إذا رد بعض قوله عليه السلام أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك .

٤ — وقال السيوطى رحمه الله فى رسالته المسماه مفتاح الجنة ، فى فى الاحتجاج بالسنة .

أعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبى ﷺ قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف فى الأصول — حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام . وحشر مع اليهود والنصارى . أو مع من شاء الله من فرق الكفر » .

٥ — وأخرج البيهقى عن الامام الجليل سفيان بن سعيد الثورى رحمه الله : ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ . وقال أبو حنيفة رحمه الله : إذا جاء الحديث عن

(١) البخارى كتاب الصلح ، ومسلم كتاب الاقضية

(٢) تفسير ابن كثير ٥/٩٧

رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وقال الشافعى رحمه الله : متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب ، وقال أيضا رحمه الله : إذا قلت قولا وجاء الحديث عن رسول الله ﷺ بخلافه فاضربوا بقولى الحائط .

فهؤلاء هم العلماء شهد الناس لهم بالأمانة والفضل والتقدم سفيان الثورى وإمام دار الهجرة ، وإمام أهل السنة ، والشافعى القرشى ، والامام أبو حنيفة ، والأمة من بعدهم كلهم مجمع على أن تاركها هالك وزائغ ، وقد سبق حديث رسول الله ﷺ : « قد تركتكم على البضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ومن يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » .